مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان-.2024)، ص 61-73
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

جيل دولوز نحو ميتودولوجيا جديدة لقراءة تاريخ الفلسفة

Gilles Deleuze towards a new methodology for reading the history of philosophy

بارش ريمة [1]*

[1] مخبر الدارسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، rima.bareche@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/30 **تاريخ القبول:2023/12/12**

ملخص

يتلخص مضمون هذه الدراسة في محاولة الكشف عن طبيعة الأعمال الفلسفية الأولى لجيل دولوز، والتي اندرجت في بداياتها ضمن قراءاته المتعددة لشخصيات من تاريخ الفلسفة، هذه القراءة قدمها بمنظور راديكالي، موجه نحو الطرق التقليدية للتأريخ. ضد التحرك الجدلي ومساره التطوري. ضد النظرة التي تحصر المفهوم في ذاكرة الماضي، وتعيد استحضاره وفق قوالب جاهزة تكرار حالاته. ينبغي على التاريخ أن يوفر شروط الإبداع . أن يثير المفاهيم القديمة ويعيد إنتاجها وفق روابط جديدة، أن نصيغ له زمن صيروريا من دون بداية أو نهاية، أن يكون تاريخا محايثا لإشكالياتنا الحاضرة، ندفع به قوى الفكر نحو ما هو اختلافي وحيوي في التجربة الانسانية يستجيب ويتعايش مع تأثيرات الوقائع اليومية. من هنا تكمن خصوصية العمل الدولوزي لتاريخ الفلسفة .

كلمات مفتاحية : تاريخ الفلسفة ؛ الصيرورة ؛ الحدث ؛ الجغرافيا ؛ الإبداع ؛

Abstract

The content of this study is an attempt to reveal the nature of the first philosophical works of Gilles Deleuze.Which was included at the beginning among his many readings of figures from the history of philosophy. He presented this reading from a radical perspective, directed specifically towards traditional methods of history, against both the dialectical movement and the view that confines the concept in memory of the past, and recreating it according to templates to replicate its situations. History must provide the conditions for creativity, to stimulate old concepts and reproduce them according to new connections. To formulate for it a becoming time without beginning or end. To be a history that is relevant to our present problems, in which we push the forces of thoughts towards what is different and vital in the human experience and thus responds to the realities of everyday life. That's where it lies the peculiarity of the Deleuzian work on the history of philosophy.

Keywords: history of philosophy; becoming; the event; geography; creativity ;

* المؤلف المرسل.

1 - مقدمة

صُنفت الكتابات الأولى **لجيل دولوز Gilles Deleuze(1925-1995)** في بدايات اشتغاله الفلسفي حول قراءته المتعددة لشخصيات من تاريخ الفلسفة ، هذه القراءة التي توالت على فترات زمنية متفاوتة ، بحيث لم تحتكم في حدود البدايات فقط ، بل هي جهود دامت لسنوات عديدة ، حقق من خلالها ما يقارب أزيد من ثلث إجمالي انتاجه الفكري ، ليتم تصنيفها كحصيلة الأكثر الأعمال تأليفا .

قرار التوجه لمثل هكذا مسائل بحثية، هو ممارسة التأريخ بطرق جديدة، وإعادة استكشاف أسطحة المخفية، خارج قيود التصورات الرسمية الأكاديمية، التي فرضتها المؤسسة الجامعية. والتي كانت تتماشى وفق المعطى النسقي الذي أوحى به التنظير الهيغلي لمفهوم التاريخ – بناء تطوري عقلي إلى لحظة الاكتمال – وحصر سيرورته وفق تراتب زمني محدد ، تماشيا مع ما تمليه معطيات كل إنتقاله تاريخية . هذه الإختزالية في الرؤية ، بإستقراريتها المميتة ، طرحها دولوز كإشكال معرفي ومنهجي ، كانت دافعه المبرر الى ضرورة الخروج من هذه الإنغلاقية ، في كيفية تعاطيها لتاريخ الفلسفة ، التي بدورها حكمت سلباً على صيرورة الفكر وحركته . بتحديد له مسار وغاية نهائية، موجهة نحو حقيقة ما .

فالمتمعن لهذه المساهمة الجريئة يجد تماشيها ضمن اهتمامات أفق التفكير المعاصر ، الذي سطره التيار النتشوي المابعدي بنيوي ، أين اتفق جيل كامل من مفكريها - **فلاسفة الاختلاف** - أمثال كل من **دولوز، فوكو ، دريدا، ليوتار** ... الإشتغال على إشكالية رئيسة تحددت ركيزتها في مساءلة التراث الفلسفي التقليدي من **أفلاطون إلى هيغل** ، أي إعادة قراءة تاريخ هذا التراث . تحت مسمى مشروع نقد الميتافيزيقا الغربية. وذلك بالعمل على حمل مهمة تغيير الجو الفلسفي العام. الذي فرض خلق إمكانات جديدة ، و إستنبات إستراتجيات بديلة ، أكثر عملية للخطاب الفلسفي ، مخالفة لسردية التفكير الكلاسيكي. هذا العصر قوامه تشخيص الواقع و الإنخراط مع مشاكل الراهن و أسئلته ، و جعلها أي الفلسفة نمطًا من **أنطولوجيا الحاضر** . رغم ذلك تبقى وجهة نظر دولوز مخالفة لمسعى هذا الأفق ، فلم يكن همه بشكل عميق ممارسة النقد أو التفكيك و الهدم . فخصوصية وجهة نظره بشكل أدق ؛ هي القدرة على تجربة الفكر هنا والآن ، الخروج من قبضة الزمن التاريخي المحتكم الى بداية ونهاية ، لصالح زمن **أيوني Aiôn** لم يأتي بعد Intempestif ، في كيفية جعل التاريخ إنتاجي وفي لقاء إبداعي مع مفاهيم حاضرنا ، الإيمان بالصيرورة التي تحرك العالم نحو المعاني بعيدا عن وهم الحقائق . فلا توجد مهادنة ومصالحة مع الماضي مع ما هو سائد ومبتذل، فالفكر تحركه قوى متنوعة. في تشابك علائقي مع الكل، الفكر يحركه الصراع و الاحتياج و الضرورة nécessité .

وعليه، واستجابة للسياقات الآنفة الذكر نطرح التساؤلات التالية: كيف استطاع دولوز الخروج من سلطة الهوية التاريخة وضوابطها الشرعية في تأريخه للفلسفة؟ فيما تتحدد الآلية المنهجية التي استعان بها في قراءته التجاوزية البديلة؟ ما معنى أن نفكر في تاريخ الفلسفة حسب دولوز؟ أن نفكر في تاريخ من دون ذاكرة؟

2- تاريخ الفلسفة ضمن التأسيس لأعمال فلسفية

إن حديثنا عن دولوز يستلزم ضرورة الانتباه إلى سؤال ارتباطه بتاريخ الفلسفة وشكل . قراءته لهذا التاريخ. أين احتلت إشكالية التأريخ الفلسفي أو إعادة قراءة تاريخ الفكر، التي وسمت باكورة أعماله الفلسفية بداية من خمسينيات القرن الماضي إلى غاية الثمانينيات، مكانة مخصوصة ضمن سائر أعماله الفلسفية؛ إذ يمكن اعتبارها الخيط الناظم على أساسه تحدد مشروعه الفلسفي الخاص وقد بلغ ذروته القصوى مع مؤلفه **الإختلاف والتكرار Différence et Répétition** ، أو المحرك الفاعل الذي بموجبه صاغ مجمل إشكالاته النظرية – **كأنطولوجيا المحايثة ، الآلات الراغبة ، التجربية المتعالية ، نسق المتعدد ...-** .

إلا أن وجه الغرابة التي تستجليها هذه القراءة وراء فهم مجرياتها، لنحدد إمكانتها المعرفية والمنهجية ، خلف زخم التأويلات المختلفة لها سواء في طرحها الفرانكفوني - في قراءة عمله كرد فعل ضد الهيغلية **anti Hegelianism** - أو الأنجلوساكسوني- بوصف مشروعه كإعادة لتقيم الفلسفة مابعد كانطية **Post Kantain** (W.Smith, 2012, p. 22). تضعنا أمام مسارات متشعبة المسالك في إيجاد رابط نوضح به الكيفية التي تم بها التأريخ والنهج المتبع في القراءة. فما يمكن تأكيده وراء صعوبة الإشكال؛ أن جانب غموضه الاكبر يرجع في مجمله الى طبيعة العلاقة التي تجمع دولوز بتاريخ الفلسفة، وارتباطاته الممّتدة مع شخصياته، تحديدا سبينوزا، برغسون، نيتشه. فحتى الأعمال التي سُجلت بصوته الخاص لا تزال تفيض بإشارات واسعة لهاته الاسماء . (Sellars, 2007, p. 552) .

كتب عمله الأول دراسة حول هيوم سنة 1953، بعد الانقطاع الذي عرف بفجوة الثماني سنوات **trou de huit ans** يعود مع بداية الستينات 1962 بكتاب عن نيتشه . ثم كانط 1963، الرجوع لنيتشه عام 1965. ثم تلاه مؤلف حول برغسون 1966، في عام 1968 ألف فيه دولوز أول كتاب باسمه الخاص بعنوان الاختلاف والتكرار ليجمعه مع دراسة ثانوية حول سبينوزا، الرجوع إلى الكتابة لحسابه الخاص بمؤلفه منطق المعنى 1969. لتتم العودة في سنه 1970 إلى سبينوزا . بعدها تأتي مرحلة الكتابة حول أعمال خارج الفلسفة في مجالات مست الأدب ، والفن ، والسياسية . و البعض منها في تأليف مشترك مع المحلل النفسي فيلكس غتاري Felix Guattari ، سارت من 1972الى غاية 1988 . في هذا العام يختتم دولوز حصيلة كتاباته التاريخية بمؤلف حول لبينتز. إلا أن قرار انتهاء مسار الكتابة حول تاريخ الفلسفة بشكل رسمي ونهائي حسب

تصريحات دولوز في أحد حواراته، هو أن يكون بكتاب حول كارل ماركس بعنوان ماركس العظيم **Grandeur de Marx**، والذي شرع فيه تأليف بعض منه، إلا أن قرار الموت كان أقوى من ذلك.

هذا التذبذب في الرجوع أو كما وصف برحلة الذهاب والإياب، لم يفسر عند بعض الشراح بخروج مطلق من تاريخ الفلسفة، بل وصف بإقامة دائمة، حتى أن الإشكاليات الأكثر حداثة في نصوصه الفلسفية المستقلة، هي في جزء كبير منها إعادة صياغة لمجموعة من المشكلات التي تم تطويرها في هذه الفترة التكوينية من البحث المكثف والمستقل. حسب تصريح ميشال هاردت **Michael Hardt** فانه " يتعذر فهم الأعمال اللاحقة لدولوز بل تظل غامضة مالم تضع في سياق كتاباته المبكرة من تاريخ الفلسفة، أين استطاع من خلاله، إبداع مفردات تقنية وأساسا مفاهيميا خدمه طوال مساره المهني . (Hardt, 1993, p. 21) . نستدل على سبيل المثال معالجته لإشكالية الرغبة كمورد استقاه دولوز من قراءته لسبينوزا، ما نجم عنها تحت مفاهيم جديدة: كجسد بلا أعضاء، الآلات الراغبة التي اسقطها بدوره في تحليلاته حول علم النفس الفرويدي، ونقده للرأسمالية .

على أنه يمكن تأكيد القول من جهة أخرى، بتتبع حركة حضور تاريخ الفلسفة، ومكانته، كلحظات تكوينية رافقت الفكر الدولوزي، كنظام وكمفهوم وما طرأ عليه من جملة التغيرات في بنيته ، ضمن أهم ما أنتجه من دراسات لاحقة خصت فترات نضجه الفلسفي: **كالإختلاف والتكرار ، ما الفلسفة ؟** و **ألف سطح** .

1- على اعتبار المؤلف الأول في تأسيس نظري لمجمل ممارساته العملية السابقة، حول أبحاثه التاريخية الأولي، وفي سرد ضمني لتأملاته المنهجية حوله. وما اشتملت عليه وسائل وموارد التنظير. أكد في قولة مشهورة : " أن تاريخ الفلسفة هو إعادة إنتاج الفلسفة بعينها " (دولوز، 2009، صفحة 43) . فكيف يفهم هذا التصريح مع عنوان الكتاب ؟

الكتاب وما يحتويه من مفارقة جمع، بين اصطلاحين متضادين تم اختياره بدهاء ليكسر به طوق نماذج الموضوعات السائدة المبتذلة في ترنحها بين ما هو مألوف واعتيادي. بجعل التقاء المفردتين ضمن توليفة واحدة ، تعمل كل منهما لحساب صيرورة الفكر نحو التمايز و الفرادة **Singularité** . جاءت دوافع النص بالاشتغال على تحرير المفهومين من بلادة الطرح العمومي له ورسوخه الساذج في الأذهان، دفع الاختلاف إلى حد التناقض، والتكرار في حدود المماثل/ والمشابه؛ الخروج من قبضة التعريف الماهوي الذي يفرضة مبدأ الهوية **Identique**، أو كما لقبها دولوز بآلية التمثل **La représentation** . هذه الاخيرة تنبنى رؤيتها " أن العالم هناك في الخارج، مستقر وساكن ينتظر فكرنا، حتى يتم إدراكه، فكرنا يمثله. هذا ما يفعله الفكر انه يعكس ما هو موجود هناك في أفكارنا " (Todd, 2005, p. 74) . عملية إسترجاع – إعادة عرض - كما تم تقديمه لنا خارجا يعبر عن نوع من الصنمية ، بالعودة الى الأصل الأول . فبالنسبة لدولوز لا ينحصر الاختلاف

في خانة السلب - كفكرة معارضة - بل يكون اختلافا لذاته **Différence en elle-même** ، دون وساطة أو رباط ، ليس له تصور قبلي أو بعدي أو يفهم كضد أو نفي لشيء آخر. تمايز الاختلاف يكّمن كلحظات وجودية عابرة، متعددة ومتنوعة في حياة وتجدد وانصهار وتحلل مع غمرة الفكر وسحر الكينونة.

أما التكرار فهو اختلاف بلا مفهوم، التكرار الحقيقي هو ما يقابله مباشرة اختلافا من درجته عينها (دولوز، 2009، صفحة 87/84) .فليس ثمة من تكرار إلا وهو في خدمة المختلف، تكرار يخلق تمايزا، بحيث لا يمكن استيعابه إذ لم يكن متضمنا في رحمه الاختلاف ما يضفي عليه من سماته، ويخلع عليه قناعه، ويزحزحه من موقعه، في إطار لحظات الديمومة التكرارية، و الإبداعية (مانغ، 2003، صفحة 29/28). إنها فكرة العود الأبدي **Eternel Retour** لنيتشه التي أسقطها دولوز بقراءته المغايرة على لب فلسفته وأفكاره . تأكيدا في قوله ." أن العودة الدائمة ليست إطلاقا فكرة للمماثل ، بل هي فكرة تأليفية للزمن و أبعاده تأليف للمتنوع و إعادة إنتاجه ،...إن التماثل في العودة الدائمة لا يدل على طبيعة ما يعود ، بل على العكس على واقعة العودة بالنسبة لما يختلف " (دولوز، 1993، صفحة 65/62) .

هكذا يفهم تاريخ الفلسفة في أحضان الاختلاف والتكرار، عودة تكرارية للزمن الماضي لكن بنظرة اختلافية، إعادة تجديده، وإحياءه وفق متطلبات راهنية.

2- استطاع دولوز من خلال كتاب **ما الفلسفة ′ Qu′ est-ce que la philosophie** 1991 أن يصبغ جواب عملي حدد من خلاله الوظيفة المعنية بها، على أنها " الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم " (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 30) . هذا السؤال طرحه بعد فترة متأخرة من حياته ومساره الفكري، خلاصة لتجارب فلسفية دامت سنوات طويلة من البحث انتهت برؤية جديدة للتاريخ على أن مساره يحتكم إلى حركة المفهوم. هذا الأخير لما هو حدث جغرافي يرتحل و يتموضع بحسب ما تثيره طبيعة المشكلات، المفهوم لا يفنى تاريخيا، يغير فقط في اتجاهاته لصالح لزومية الإمكان لضرورات الفكر" فحسب دولوز المفاهيم الجديدة تعود إلى التاريخ لكنها لا تأتي منه " . (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 109) .

تمكن الكوجيتو الدكارتي التكشف بظهورات متعددة من خلال إبداعه لمفهوم الأنا المفكرة، الذي ارتحل مع كانط إلى ذات مدركة وناقدة، مع هيغل إلى ذات تاريخية، هبرماس ذات تواصلية ...

3- يُعَّد كتاب **ألف سطح Mill Plateaux** الذي ألفه دولوز رفقة صديقه فيلكس غتاري" التجسيد الأمثل لنظرية نسق المتعدد **Le Systéme du multiple** " (مانغ، 2003، صفحة 89). يمكن تصنيفه كأحد أقوى النتاجات الفلسفية وأكثرها كثافة، في سياقاته ومضامينه اللامألوفة . تناول في فصوله الخمسة عشر مواضيع عديدة تداخلت فيه مع حقول معرفية متنوعة الأخلاق، علم اللغة، الأنثروبولجيا، التحليل النفسي ..، لاستكشاف مسارات جديدة خارج

الفلسفة، ما أراده المؤلفين هو تأسيس رؤية جديدة للعالم، إنشاء مفاهيم وظيفية له - **mécano sphère** - في مكنتها تغير علاقتنا به، إنشاء نظام فلسفي جذموري، مخالف لأنظمة الفكر المعروفة، المنحصرة في طوق الثنائية **Dualism**، يشتغل بمنطق الفواصل بعيدا عن الدلالة الكرونو-تطورية (Dosse, 2010, p. 251). ما يبرر احتواء الكتاب على ترسانة مفهميه لا حصر لها **(الجذمور ، الفضاء الأملس ، الفضاء الترحالي ، الإقليم ، إعادة توطين . خط هروب ، جسد بلا أعضاء، آلة حرب ، علم البداوة ...)** كلها تتحرك ضمن أفق مكاني يشتغل فيه الفكر عبر السطوح المحايثة له ، بعيدة عن ظلمة العمق ووهم الماورائيات المتعالية .

تنجر عن هذا الأطروحة إعادة صياغة فلسفة جديدة للتاريخ، تتهاوى معه، وضمن التركيبة المفهمية التي ابتدعها دولوز /غواتاري الفهم التقليدي عنه، بقوانينه التي ظلت تحكمه وتأسره كمفاهيم الديالكتيك، السببية، التقدم، الحتمية. يصور آلان بوليو**Beaulieu Alain** الموقف بشكل أوضح في قوله: "... تَّفرد فلسفة التاريخ دولوز/ غواتاري تعني عدم وجود موقع محدد بمواقع متعددة multi-localisation لأحداثه. لا يعتبران التاريخ مجرد تسلسل للحقائق بل يتصورانه من منظور سلسله من التحولات المتزامنة، تعارض المسار الخطي له، لصالح وصف العلاقات في الحاضر المشترك بين الأحداث الزمنية المختلقة، بغض النظر عن اللحظة الماضوية تأكيدا أنه لا يوجد شيء جديد تماما (الاختلاف) ولاشيء متماثل / متطابق تماما (التكرار)، ولكن كل حدث له عناصر مرتبة تاريخيا. استجابة لنظرة نيتشه، يزرعان على قدر حد أدنى من الوعي التاريخي، يسمح لهم بأن يسألوا أنفسهم من أين أتوا، والى أين يرغبون في الذهاب. ,Beaulieu) .2009, p. 17/18)

3- تاريخ الفلسفة والمؤسسة الجامعية

في محاضرة ألقاها دولوز عام 1987 بعنوان ما هو العمل الابداعي؟ **Qu'est-ce que l'acte de création** أكد من خلالها أن الفكر لا يكون فكرا إلا في علاقته مع مجال الإبداع ، ولا يكون الإبداع إلا وفق الضرورة التي تدعو إليه " فليس المبدع شخصا يعمل من أجل الاستمتاع بذلك، فلا يعمل المبدع إلا بما هو من باب الضرورة عنده، لابد أن تكون هناك حاجة **nécessité** إلى ذلك " (Deleuze, 2003, p. 293) . مبررات هذا القول تتماشى الى حد بعيد مع دوافع الدعوة في توجه دولوز لقراءته التاريخية، على أنه ليس فعل إرادي حر. بل هناك ضرورة حركت فعل التفلسف نحو المسألة، قرار له أسبابه يمكن استحضارها على وجه الإيجاز في النقاط التالية:

يتحديد سياق علاقة دولوز بتاريخ الفلسفة في المقام الأول من خلاله تعليمه الجامعي وتواجده كطالب في أقسام الفلسفة ،ضمن البيئة الأكاديمية الفرنسية، التي تدرب فيها كفيلسوف. أين كان نظام التعليم أنا ذاك يولي أهمية بالغة لهذا المجال المعرفي، تمثل دوره في الحفاظ على مكانة هوية التخصص – الفلسفة - وضمان استمراريته، مع باقي فروع العلوم الأخرى" فرض

حمايته من أي تدخل خارجي محتمل لتحدي موقعه المتميز كنظام مخصص للفلاسفة. إنه الحارس الحقيقي على حدوده المعرفية (Bianco، 2015، صفحة 49) .

فمن أجل اجتياز امتحان الموافقة **agrégation** الذي رُخص لطلاب الجامعة من أجل التدريس في المدارس الثانوية ، مطالبتهم بتقديم قراءات متقاربة للنصوص الكلاسيكية من تاريخ الفلسفة، من أفلاطون الى ديكارت، كانط ، هيغل ....وغيرهم. كنوع من أشكال الإدامة المؤسسية له . بهذا المعنى كان تاريخ الفلسفة أمرًا محتوما وقرار إجباري مفروضًا على طلاب الفلسفة والذي كان دولوز من بينهم. صرح يقول في أحد حواراتهّ" لقد كان تاريخ الفلسفة دائما عاملا سلطويا داخل الفلسفة يمارس دورا قمعيا على الفكر كنا نكتفي فقط بمداخل إلى هيغل وهوسرل وهيدغر ...، كيف تود التفكير دون قرأتهم وما قُرأ وكُتب عنهم، إنه بحق الأوديب الخاص بالفلسفة، مدرسة تخويف هائلة، تصنع إختصاصين في الفكر ... بدأت بتاريخ الفلسفة حينما كان لا يزال يقرض نفسه. لم أكن أتوفر على وسائل التخلص منه كي أشتعل لحسابي الخاص، لم أكن أحتمل لا ديكارت، الثنائيات والكوجيتو ، ولا هيغل الثالوث وعمل السلب ، هكذا كنت أحب كُتابًا يبدون أنهم يشكلون جزء من تاريخ الفلسفة ولكنهم ينفلتون منه جزئيا أو كليا ، أمثال لوكريش ، سبينوزا ، هيوم ، برغسون ، نيتشه . " (دولوز و بارني، 1999، صفحة 25/22) .

نميز من خلال هذا المقطع عدة ردود أفعال من جانب دولوز، رد فعل ضد الوظيفة السلبية للممارسة التاريخ الفلسفى بحصر مهمته في إعادة استنساخ لنصوص كبار الفلاسفة وأفكارهم، رفض التقليد العقلاني من بداياته مع ديكارت إلى ذروته مع هيغل، باستثناء كانط فشأنه مختلف، يقول عنه دولوز أنا راضي عنه، ألفته كما لو كان كتابا عن عدو. كنت أحاول أن أبين كيف يشتغل، وماهي دواليبه – محكمة العقل الاستخدام المضبوط للملكات " (دولوز، 2021، صفحة 5) . في الجانب المقابل نجد وضوح الميول الحيوي التجريبي من خلال توجهه بالكتابة عن برغسون ونيتشه هيوم.... هذا الأخير إنتهى حوله بتقديم رسالة دبلوم الدراسات العليا بعنوان : التجربية والذاتية **Empirisme et Subjectivité** بتأثر من أستاذه جال وال **Jean Wahl** المتخصص في الدراسات التجريبية الأنجلوأمريكية في فرنسا - وليام جيمس ، وايتهد - والذي تم اعتباره عملا استفزازيا من جهة اشتغاله بعيدًا عن اهتمامات موضة عصره ، اذا ما أدرجنا معاصريه – دريدا ، التوسير، فوكو- ضمن هذا السياق فان بداية المسار إنهم مع التيارات الجديدة الوافدة للفكر الفرنسي كفينومينولوجيا هوسرل ، انطولوجيا هيدغر ، الماركسية .

وصولا إلى دافع آخر في صلب تكوين نظرة دولوز لتاريخ الفلسفة، أين تشكل بشكل جلي نتيجة الجدل المشهور بين أساتذته: فردينالد ألكي **F.Alquié**، ومارسال غيرولت **M. Guéroult** الذي إندلع مع بدايات الخمسينات داخل أسوار المؤسسة الجامعية حول كيفية تفسير فكر ديكارت، هذا الخلاف أدى الى مناقشة جوهر الفعل الفلسفي ومهمة مؤرخ الفلسفة. يجسد ألكي النموذج

الأدبي **modèle littéraire** أسوة بوجودية سارتر، الذي يرى من الفلسفة خطاب عقلاني، وتجربة وجودية، وأن مؤرخ الفلسفة مدعو لتفسير هذين البعدين لفعل التفلسف : المفاهيم والمسار الذي قاد الفيلسوف لاكتشاف اللانهاية ، وبالتالي تاريخ الفلسفى لا يظهر أي تقدم ولكن فقط أبدية الدعوة إلى الوجود، يرفض من جهة أخرى التفسير النفسي والتاريخ –الإجتماعي **historico-sociologique** لها . لأن رحلة الفيلسوف الفكرية شبه متعالية لا يمكن إختزالها في هذه المحددات (Bianco، 2015، صفحة 52) .

تماشت هذه الرؤية عكس المقاربة البنيوبة لتاريخ الفلسفة - النموذج العلمي - **Modèle scientifique** الذي مثله غيرولت ، حاول الأخير إبداع فهم جديد ننظر من خلاله لعملية التأريخ و للممارسة التاريخية ، طريقة تضعنا في صلب المشكلة الفلسفية، بالبحث عما يؤسسها . البحث في كيفية تشكيل كل نظام نفهم تماسكه المنطقي وبناءه الداخلي بفصل تام عن سياقها العام والخاص . " يرفض غيرولت التاريخ الذي يكتفي بوصف المذاهب من وجهة نظر تسلسلها الزمنى، فهذا يخطئ محتواها الفلسفي الصحيح ، يصبح بحثا في تاريخها فق ، تتمثل الفلسفة في إبراز المشكلات والتعامل معها و لا يمكن تشويهها إلا من خلال نهج تاريخي، مشاكلها من نوع خاص التأثير على وجود الإنسان دون مراعاة خصوصياته الزمانية و المكانية مما يجعلها مشاكل غير تاريخية " (Chottin, 2009, p. 63)، . دراسة تاريخ الفلسفة هي دراسة الفلسفة نفسها بحث في كل أنظمها عن نواة تجعل من كل فلسفة عملا يقاوم الزمن تتمثل هذه النواة في صياغة المشكلات بحيث يصبح موضوع مؤرخ الفلسفة أن يري في كل عمل فلسفى على أنه نصب تذكاري ينبثق من التاريخ لكنه يقاوم فعل التآكل . (Bianco، 2015، صفحة 54).

تتقارب الكيفية التي بها مارس دولوز التاريخ مع رؤية مارسال غيرولت في جوانب منها أوحت له بإبداع طرق خاصة به أكثر عملية . الجدل كان بليغ الأثر على فكر دولوز الذي منح له بفهم جديد لكيفية القراءة والتأريخ، انطلاقا من سعيه إلى تحقيق توليفة بين النموذجين، والخروج منها بموقف حيادي خاص به، انتهت عبر المعادلة التالية: تاريخ الفلسفة هو تاريخ مشكلات فلسفية يتم صياغة حلول لها عبر مفاهيم خاصة بها. خلق مفهوم يحدث دائما كدالّة لمشكلة . نجد مبررات الموقف بشكل أعمق وبتفصيل أكثر منهجية في كتابي الاختلاف والتكرار، وما الفلسفة.

امتهان التديس الذي زاوله دولوز لسنوات عديدة من حياته بعد تخرجه عام 1948، توجه مباشرة للتعليم الثانوي والذي قضى فيه تسع سنوات وانتهى في عام 1957 بالانتقال إلى الجامعة شاغلا منصب أستاذ مساعد في تاريخ الفلسفة إلى أن تقاعد منه سنة 1987، خرج منها بحصيلة جهد ثلاثين سنة. رغم المدة التي كرسها في التعليم وما أخذته من مسار حياة كاملة انضوت تحت لوائه، يقر دولوز بحضوره الإيجابي في أحد حواراته بقوله: " أحببت التدريس بدرجة هائلة " (دولوز و بارني، صفحة 128) . كرس دولوز هذه الفترات في تحضير مقررات التدريس أين انحصر إطارها

البيداغوجي حول شخصيات من تاريخ الفلسفة عندما سُئل حول ما إن كانت مقررات الجامعة يتم تحضيرها بطريقة مختلفة عن مقررات الليسيه – الثانوي – يؤكد في قوله دائما ما درست مقرراتي بنفس الطريقة. تواجده الطويل ضمن مؤسسات التعليم وآلية سيرها بأهداف ومناهج كان دافعة إلى ضرورة الخروج من حدود أسوارها، بخلق طريقة أكثر حيوية وفاعلية لممارسة الدرس الفلسفي بعيدا عن كل قيد مؤسسي موجه. تتضح هذه الرؤية في قوله: " بالنسبة لي، فإن المدرسة نقيض الحركة ...إذا كان لدي مثل أعلى، فسوف يكون أن أشارك في حركة ...، لا أريد إدخال مقولات يمكن أن تؤسس مدرسة ؛ أود أن أدخل مقولات أو مفاهيم تقوم بعملها في الحلبة اليومية، لا أعنى أنها ستصبح شيئا عاديا، بل تصبح أفكار مقبولة ، بوجه عام وبالتحديد أفكارًا يمكن أن يتعامل معها المرء بطرق مختلفة. (دولوز و بارني، صفحة 138) .

حصيلة الدوافع السابقة الذكر نجم عنها مساءلات تفرض الخروج من تاريخ الفلسفة لكن عن طريق الفلسفة نفسها، لم يكن هناك بد من التحرر إلا بالمواجهة وفرض بدائل.

4 – عندما تصبح القراءة أكثر من تأويل

يضعنا دولوز في مفترق طرق و متاهات فهم، حول استيعاب أساليب العمل التي من خلالها نتمكن من تحديد الكيفية التي تم بها التأريخ، حيث نجده لا يتبع الطريق الواضح البَيِن، الذي غالبا ما يستند إلى خطوات متتابعة نصل بها إلى الغاية، فهو ضد كل ما هو متاح وجاهز للفكر، ضد بساطته وعموميته، فالظاهر من طبيعة فكره المتشعب لا يعني أنه لا يتبع منهجا في القراءة و الكتابة التاريخية ، و إنما يرفض أشكالها التقليدية، ليوجهها نحو المختلف والمتعدد منها، وعليه سنحاول إدراج بعض الإستراتيجيات المنهجية التي بها مارس دولوز تاريخ الفلسفة إلى جانب توضيح الأسلوب المتبع في الكتابة . والتي تم وصفها عند بعض الشراح بالأسلوب الحر ، الغير المباشر / اللامتجانس للكتابة " (W.Smith، 2012، صفحة 35).

تأخذ رحلة دولوز عبر تاريخ الفلسفة ، شكلا غريبا ، على الرغم من أن دراساته التاريخية تعتبر مقدمات ممتازة ، إلا أنها لا تقدم أبدا ملخصًا شاملا لعمل الفيلسوف ، بدلا من ذلك ، يختار الجوانب المحددة لفكر الفيلسوف ، التي تقدم مساهمة إيجابية لمشروعه الفكري ،و ما يتناسب مع فلسفته، فمقاربته لتاريخ الأفكار تتضمن أيضا جانبا من روح فكره، "فتحت قلم دولوز يتعذر التعرف على من يتكلم داخل النص" (Beaulieu، 2009، صفحة 5) .التدخل في مساحة الفيلسوف بإحداث شقوق وفجوات تجعل من نصه يعود من جديد بصياغات مغايرة، يوضح لنا هذه الطريقة في قوله: "إن طريقتي للخلاص وقتئذ كانت، أن أفهم تاريخ الفلسفة كنوع من الإتيان الماكر، أو الحمل النظيف، كنت أتصور أنني سألوط بمؤلف، فأجعله ينجب مولودا يكون إبنه لكنه يكون مشوه الخلقة . بالرغم من ذلك. لابد أن يكون إبنه هذا أمر بالغ الأهمية، لإن المؤلف

ينبغي أن يقول حقا ما كنت أجعله يقول ولكن كون المولود مشوه الخلقة هذا أيضا أمرًا ضروريا كذلك ، لأنه كان ينبغي المرور عبر مختلف أشكال الإزاحة عن المركز ، والنزوح والكسر ، وهذي التأثيرات الخفية كانت تروقني " (دولوز، 2021، صفحة 6) . فعلى سبيل المثال لا يفهم كتاب دولوز حول هيوم أو كانط ، برغسون ...، على أنها كتب شارحة مفسرة حول أعمالهم بل هي كتب هجينه تجسد هيومية دولوز ، وكانطيته ، وبرغسونيته . يمكن تصورها على أنها لقاء إبداعي بين فلسفتين، وكموجات إبداعية ، فإنها تُتيح الفرصة أمام المؤلف لتطوير أفكاره الخاصة (Sellars, 2007, p. 556) . وصفته آنا سوفينارج **Sauvagnargues Anne** ,على أنه قارئ يقظ استثنائي يمارس تاريخ الفلسفة كمستقبل للفكر .(Sauvagnargues, 2009, p. 15)

يقدم دولوز فكر سبينوزا من حيث مفهوم دونت سكوت عن" **الوحدة " Univoque**، ولايبنتز من حيث المفهوم الرياضي " التفردات "، الاختلاف من حيث مفهوم العود الأبدي لنيتشه، على الرغم من عدم ظهور أي من هذه المصطلحات في نصوص سبينوزا و ليبنتز ...، إلا أنها لا تفهم أبدا كأخطاء في التفسير أو كقراءة سلبية، بل كحوار توليفي، يدفع به دولوز الفيلسوف إلى حده التفاضلي / الاختلافي، مطهرًا إياه من النقاط الثلاث الكبرى للميتافيزيقا، (الله، العالم . الذات) (W.Smith، 2012، صفحة 35)

تاريخ الفلسفة كعمل درامي أو عرض مسرحي **dramatisation** (Beaulieu، 2009، صفحة 13) ضمن هذي الاستعارة يمكن فهم انتقائية دولوز للفلاسفة، في كوكبة واحدة ضمن تحالف غرائبي، أين استطاع أن يجمع نيتشه، مع هيوم، وسبينوزا وبرغسون... وجعلهم الأبطال الحقيقين في تحريك فكره. رغم التباين الظاهر والمعلن لتوجهاتهم المتناقضة إلا أنهم يتفقون بتوجهاتهم الحيوية و التجربية بالعمل ضد عدو واحد ، ألا وهو المتعالي Transcendantal . الذي تجسد في شيخها الأكبر هيغل .

" إن تاريخ الفلسفة يمكن مقارنته بفن اللوحة الشخصية، ليس الأمر في أن نبدو متشابهين، أي أن تكرر ما قاله الفيلسوف، و إنما إنتاج التشابه باستخلاصنا في الوقت نفسه مسطح المحايثة الذي أقامه، والمفاهيم الجديدة التي أبدعها ، إنها لوحات ذهنية فكروية . وآلية .وبالرغم من أننا نصنعها عادة بطرق فلسفية، فإننا نستطيع أيضا إنتاجها جماليًا " (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 72) .

أوضح دولوز من خلال هذا القول سلاسة الفكر في فتح أفقه نحو ما هو خارجي عنه وتداخلة ضمن تنوع تجاربه مع المؤثرات الانفعالية لما هو حسي/ عاطفي أي الإستراتيجية التي يعمل بها المجال الفني و ربطها بما هو عقلي، ضمن كيفية منهجية نقرأ من خلالها نصًا فلسفيا. هذه الطريقة في التاريخ في تقاربها في الاشتغال مع العنصر الفني الجمالي أكده دولوز ما من مرة في

سياقات حديثه، أين يؤكد في نص آخر أنه على تاريخ الفلسفة أن يلعب دورا مماثلا نوعا ما لدور الكولاج Collageفن للصق في الرسم (دولوز، 2009، صفحة 43) .

تنوع نماذج القراءة التي عرضها علينا دولوز، تمكننا كلها، بالولوج إلى عالم النص الفلسفي من أبوابه الواسعة، هذا التنوع يفرض من جهة اخرى كيفية نُشّرع بها أسلوبًا للكتابة. وهذا ما يتجلى بكل عنفوان في نصوص دولوز الفلسفية. إذ نجد الكتابة حُضيت باهتمام كبير وواسع وباعتناء فائق في ممارساته النصية، بداياته مع أعماله التأريخية إلى ثورتها مع كتبه الأخيرة خاصة ما تجسد في مؤلفه ألف سطح، فالقوة الثورية للكتاب لا توجد في الكتاب نفسه أو في المعاني التي يمكن أن يحملها، بقدر ما توجد في طريقة القراءة والكتابة " (Lawrence, 2018, p. 175) .

نهج دولوز الاختلافي من جانب ما أسقطه على روح فلسفته، أسقطه من جهة أخرى على أسلوب كتابته، " **إنها الكتابة لغير تمثيلية** لا يكتب دولوز لتمثيل فكره، أو الأشياء الخارجية في النص بل يكتب من أجل الاشارة إلا مالا يوصف، لتكثيف إثارة حدس الاتصال المباشر مع الاختلاف " . (Lawrence، 2018، صفحة 110)

5- خاتمة

نستنتج من خلال ما سبق ذكره ، في حصيلة ما عالجناه حول إشكالية القراءة التاريخية لأعمال جيل دولوز الفلسفية ، في محاولة لإيضاح كيفياتها ، و تمظهراتها إلى مجموعة من النقاط يمكن عرضها تباعًا كالتالي :

حضي تاريخ الفلسفة بمكانة هامة ضمن سائر الإشكاليات المعرفية التي عالجها دولوز، إذ يمكن اعتبارها الخيط الناظم الذي على أساسه تحدد مشروعه الفلسفي العام والخاص، في جانبه النظري والعملي. إذ لا مجال الى تجاهلها او التغاضي عنها بحصرها وفق مرحلة اولية عابرة سرعان ما تم تجاوزها مع انطلاق مرحلة العمل لحسابه الخاص. حضورها كان بمثابة المعين الذي استقى منه دولوز معظم مفاهيمه وحدوساته الفلسفية.

حاول من خلال هذا المجال المعرفي أن يصيغ دلالات جديدة لمفاهيمنا حول الزمن و التاريخ، إذا لا يفهم هذا الاخير بصفته تتابعا خطيا ، إلى غاية وصوله الى حقيقة ما ، بل ننظر اليه كحدث إشكالي يسجله زمن الأيون، تحركه رهانات الحاضر و صيرورة الفكر ، فالذين كتب عنهم دولوز لا يجمعهم نسب أو هوية، فحسب توجهاتهم، كل واحد منهم يسبح في أفق فكري مغاير الذي يجمع كل من هيوم إلى سبيتوزا مرورًا بنيتشه وكانط هو في جوهره دعوة إلى الاختلاف الحيوي ، إلى روح التجريب بتفاعلها مع قوى العالم نحو الكثرة والتنوع، في دوام صلاحية النصوص الفلسفية ومدى فاعليتها راهنيًا .

إن الأمثلة التي عرضــها علينا دولوز حول الطرق المســاعدة لقراءة نص فلســفي توحي بدعوى إلى تأسيس نظرية للقراءة ــ كيف نقرأ نصًا فلسفيا؟ هو تساؤل يطرح في مضامينه همًّا بيداغوجيًا، في محاولة الخروج من كل القيود المؤسسية والأكاديمية المفروضة عليه.

6 - قائمة المصادر والمراجع

أولا : المراجع باللغة العربية

1. دولوز ,ج .(2009) .*الاختلاف والتكرار*. و .شعبان (.Trad ,بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.
2. دولوز ,ج .(2021) .*خارج الفلسفة نصوص مختارة*) .ع .ا .بن عبد العالي & ,ع .حدجامي (.Trads , منشورات المتوسط.
3. دولوز ,ج .(1993) .*نيتشه والفلسفة* (.(éd. 1)ا .الحاج (.Trad ,بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
4. دولوز ,ج & .,بارني ,ك .*ألف باء*) .أ .حسان(.Trad ,
5. دولوز ,ج & .,بارني ,ك .(1999) .*حوارات في الفلسفة والادب والتحليل النفسي والسياسة*) .ع . ا .أزرقان (.Trad ,المغرب :افريقيا الشرق.
6. دولوز ,ج & .,غتاري ,ف .(1997) .*ماهي الفلسفة* (.(éd. 1)م .صفدي (.Trad ,لبنان -بيروت :مركز الانماء القومي.
7. مانغ ,ف .(2003) .*نسق المتعدد اوجيل دولوز* (.(éd. 1)ع .ا .بن عرفة (.Trad ,سورية -اللاذقية : دار الحوار للنشر والتوزيع.

ثانيا : المراجع باللغة الاجنبية

8. Beaulieu, A. (2009). La pratique deleuzienne de l'histoire. Dans D. Giroux, *Contr'hommage pour Gilles Deleuze Nouvelles lectures, nouvelles écritures.* Canada: Les Presses de l'Université Laval.
9. Bianco, G. (2015). Entre système et création.Le cas du jeune Deleuze historien de la philosophie. *Ipseitas , 1* (1), 45/59.
10. Chottin, M. (2009). HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE ET PROBLÈMES DE PHILOSOPHIE. *KLĒSIS– REVUE PHILOSOPHIQUE* ,
11. Deleuze, G. (2003). *Deux régimes de fous.* Paris: les Éditions de Minuit.
12. Dosse, F. (2010). *Gilles Deleuze and Félix Guattari : intersecting lives.* (D. Glassman, Trad.) New York: Columbia University Press.
13. Hardt, M. (1993). *Gilles Deleuze.An Apprenticeship in philosophy.* London: university of Minnesota Press.

14. Lawrence, O. (2018). *Vers Deleuze.Nature.Pensé. Politique.* Canada: Presses de l'université Laval.
15. Sauvagnargues, A. (2009). *Deleuze L'empirisme transcendantal.* Paris: Presses Universitaire de France,.
16. Sellars, J. (2007). Gilles Deleuze and the History of philosophy. *British Journal for the history of philosophy , 15.*
17. Todd, M. (2005). *Gilles Deleuze. An Introduction.* USA New York: Cambridge University Press.
18. W.Smith, D. (2012). *The Cambridge Companion to Deleuze.* UK: Cambridge University Press.